المحاضرة الرابعة : المدرسة العراقية

تمهيد :

سايرت الكتابة التاريخية في العراق أحداث المسلمين خلال العصر الأموي مما مهد لنشأة المدرسة التاريخية الخاصة بالعراق وذلك بعد قيام الدولة العباسية وانتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد بحيث عمل الخلفاء العباسيون على ابراز ما دونه العلماء والمحدثين بشكل كبير وبحكم أن بغداد كانت ملتقى العلماء فقد شجع هذا على التدوين وعلى تبادل المؤلفات والمعلومات وساهم في نشأة هذه المدرسة ، أطلق العديد من العلماء المسلمين على هذه المدرسة اسم المدرسة الأم وذلك لشموليتها لجميع الأحداث والتواريخ الإسلامية والخاصة بالعراق وسائر بلاد المسلمين.

1- مميزات وخصائص المدرسة العراقية :

كتب رواد المدرسة العراقية في مواضيع كانت ذات أهمية قصوى عند الأمة الإسلامية الخاصة بالعراق وسائر بلاد المسلمين، وكتبوا أيضا في مواضيع كانت ذات أهمية قصوى عند الأمة الإسلامية في تلك الأثناء كالضرائب الشرعية من زكاة وخراج العشور، وكتبوا أيضا في القائمين على هذه الوظائف والشروط الواجب توفرها فيهم، وكتبو في الحسبة و نظم الدول السابقة للدولة العباسية وفي قوانين هذه الدول، وقد تعددت مؤلفاتهم ولم ترتبط منتجاتهم العلمية بانتماءاتهم العرقية وانتماءاتهم لمذاهب معينة أو فرقه أو قبائل وكانت المنافسة شديدة بين العلماء لحرصهم الشديد على الاسهام في الحركة العلمية التي شهدتها بغداد برعاية الخلفاء العباسيين والتي أدت إلى نشأة العديد من المكتبات.

حرص علماء المدرسة العراقية على تدوين المؤلفات في جميع التخصصات لوضعها في مكتبات فزيادة على تدوينهم لتاريخ المسلمين كتبوا أيضا في الفقه والحديث والتفسير مما يوضح أن المدرسة العراقية لم تنشأ من العدم فعلى الرغم من أنها المدرسة الأم إلا أنها اعتمدت في

قاعدتها الأولية على مدرستي الشام والمدنية وما جاءت به من تطورات، ويعود لاطلاع علمائها على المدرستين السابقتين، وأما تسميتها بالمدرسة الأم فلأنها جمعت بين خصائص ومبادئ مدرستين وزادت عن ذلك باستخدام مناهج المحدثين، فقد دعم رواد المدرسة العراقية مؤلفاتهم بالإسناد وتثبيت الروايات الصحيحة وذكر الضعيفة وأسباب ضعفها وتوثيق مؤلفاتهم بما اعتمدوا عليه من تأليف من مؤلفات سابقيهم وتدوين أحداث جديدة وتدعيمها بالأدلة في كتاباتهم التاريخية.

وتعتبر مرحلة المدرسة العراقية في الكتابة التاريخية عند المسلمين مرحلة البناء الحقيقي للكتابة التاريخية، وقد حظيت بغداد بالعديد من المؤلفات والمدونات وظلت هذه المدرسة تقدم نماذج من الكتابات التاريخية ولم يسبق لها أن دونت بهذه الطريقة عند المسلمين فهي موثقة وكل حدث يذكر يدعم بأدلة في آخر المؤلف وقد كانت كتب الخراج والأموال من المصنفات التي لقيت اهتماما كبيرا من الخلفاء حيث أنها أول المؤلفات التي اعتبرت أداة مساعدة في تسيير شؤون المسالمين بالاطلاع على أحوال التسيير لأموال الرعية في دول سابقة إلى يومنا هذا.

تعتبر مؤلفات هذه المدرسة من أهم المصادر التاريخية وأهم مرحلة من مراحل التدوين في تاريخ المسلمين، فهي إضافة إلى أنها تحتوي على مادة علمية في التدوين كمؤلف تاريخ الخراج و تحتوي أيضا على اجتهادات العلماء والقضاة السابقين الذين يمكن الاستعانة بأحكامهم وفتاويهم لحل الخلافات بين المسلمين.

2- رواد المدرسة التاريخية العراقية:

أ- القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم 113هـ 182هـ / 731 – 798 م : كتب ضمن منهج المدرسة العراقية في مصنفات كثيرة في أوائل العصر العباسي وبالضبط في عصر هارون الرشيد وقد جمع في مؤلفه رأي العديد من العلماء والمفكرين وأصحاب الرأي بخصوص العديد من القضايا كالحكم في الأرض والميراث وما يخرج من البحر وفيمن يجب عليهم الجزية وحكم المرتد عن الإسلام.

ب- القاضي يحي بن آدم القرشي المتوفى 203 ه – 818 م: كتب في المسائل المالية أيضا وفي الخراج واعترفت له مجموعة من العماء أنه لم يقلد سابقيه في الكتابة ووصفه النووي أنه كان من العلماء المصنفين ، وأشار إليه الذهبي أنه صاحب التصانيف وناقش في كتابه مسألة الغنيمة والفيء والعشر و أهل الذمة وكيف يمكن التخفيف عن دافعي الخراج كما تطرق الى دافعي الزكاة .

ج- محمد بن جرير الطبري 224 - 310ه / 839 - 923 م: هو أبو جعفر بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري فقيه ومحدث ومؤرخ أحدأعلام المدرسة العراقية ومن بين كتاباته البيان في تاريخ الأمة والذي لم يصل إلى العصر الحديث وانما اندثر أثناء حرق الكتب من طرف المغول له مؤلفات اخرى نجت من الحرق ووصلت إلينا منها :

- تفسير الطبري المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن .
- تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك .
- التبصير في معالم الدين .
- كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.

د- الشطرنجي أبو بكر 267- 336ه /880- 947 م : **أبو بكر الصولي** محمد بن يحيى بن عبد الله، نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء، يعتبر أسطورة لعبة الشطرنج عند العرب في عصره لذلك لقب بالشطرنجي ، له العديد من التصانيف التي ذكرها ابن خلكان لكنها لم تعد موجودة منها كتاب الوزراء، كتاب أخبار القرامطة، ويتفق المؤرخون الدارسون لمؤلفاته على أنه كان يتقن تصنيفه للعلوم والشيوخ والمذاهب والفرق الدينية.

ه- محمد بن حبيب البصري الماوردي 364- 450ه /974- 1058م : أكبر قضاة أواخر الدولة العباسية، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة، الفقيه الحافظ، من أكبر فقهاء الشافعية والذي ألّف في فقه الشافعية موسوعته الضخمة في أكثر من عشرين جزءًا. جاء بلون جديد من المؤلفات أثرت المدرسة التاريخية العراقية حيث خصص معظم مؤلفاته في تصنيف الأحكام لما لها من علاقة بالسلطة والرعية ومن مؤلفاته الأحكام السلطانية، الوزارة، سياسة الملك، وأدب الدين والدولة.